PRISON LITERATURE IN THE ABBASID AND ANDALUSIAN PERIOD

أدب السجون في العصر العباسي والأندلسي

Asma Saeed, Research Scholar, NUML, Islamabad, asma.pk917@gmail.com , 03315237785, ORCID ID 0000-0002-2299-7943
Kafait Ullah Hamdani, Head of the Arabic department NUML Islamabad, Kuhamdani@numl.edu.pk, ORIC ID 0000-0001-7669-6591

ABSTRACT: *Prison is a term used for a place where criminals and accused are kept. Every human society needs it to be limited. Literature of prison can be defined as literary works which reveal horrors and sufferings and impact of the prison on those who are effected with it psychologically and physically. This type of literature has significance because it is being written behind the dark walls of the prison. The shared human experience of prison has resulted in creation of some great literary works. A prisoner during his stay in a prison resorts to thinking, daydreaming dreams, realizing his mistakes, identifying his good and bad habits and planning for his future, so he writes everything he thinks about it. Everything he writes inside the prison becomes valuable for literature lovers. Keeping in view the significance of this topic, I have decided to write about it and to do research about some stylistic and objective characteristics of this type of literature. This study includes an introduction and six chapters. The first chapter deals with important poetic purposes of prison literature in the two eras Abbasid and Andalusia, and the second chapter discusses kinds of prose of prison literature in the two eras. The third chapter will deal with verbal characteristics of prison literature in the two eras whereas the fourth chapter will discuss meaning characteristics of this Literature. Religious and Social Aspects of Prison Literature will be under discussion in the fifth chapter whereas sixth chapter will put light on Political and Economic Aspects of Prison Literature in the two eras.*
KEYWORDS*: Prison Literature, literature of Prison, Abbasid era literature of prison, Andalusia prison literature.*

إذا جاز تقديم تعريف للسجن فسيكون بكل بساطة أنه فضاء سالب للحرية، ولاشك في أنه في مثل هذه الوضعية تصبح الرتابة ألذ أعداء السجين، إذ يغدو تعاقب زمن النهار والليل غير ذي معنى، ولهذا يلجأ السجين لتجاوز هذه الوضعية إلى عدة آليات، تضمن له توازنه النفسي داخل زنزانته وتمكنه من تحويل فضائها ولو إلى حين من المنغلق إلى المفتوح. إن مفعول مختلف الآليات التي يستنجد بها السجين لتجاوز وضعيته يبقى ظرفياً طالما أنه مفتقد لقيمة الحرية، فهو يخلق لنفسه نمط حياة مصطنعة، والسجن لايعدو أن يكون مكاناً يتظاهر المرء فيه بالحياة. فيكف كان يزجي السجناء في العصرين: العباسي والأندلسي أوقاتهم؟ إن دراسة أدب الأسر والسجون تساعد على رصد مشاعر السجين بسبب فقدانه للحرية الطبيعية. ونظرا إلى تنوع الموضوعات والأساليب لأدب السجون أردنا أن ندرس بعض خصائص هذا النوع من الأدب الموضوعية والأسلوبية.

يشتمل هذا البحث على تمهيدٍ وستة مباحث، تناولت في التمهيد تعريف أدب السجون، وأما بالنسبة إلى المباحث

فأولها: أهم الأغراض الشعرية لأدب السجون في العصرين، وثانيها: الفنون النثرية لأدب السجون في العصرين، وثالثها: الخصائص اللفظية لأدب السجون في العصرين، ورابعها: الخصائص المعنوية لأدب السجون في العصرين، وخامسها: الجوانب الدينية والاجتماعية لأدب السجون في العصرين، وسادسها: الجوانب السياسية والاقتصادية لأدب السجون في العصرين.

تعريف أدب السجون

السجن لغةً: السجن الحبس، والسجن بالفتح المصدر، سجنه يسجنه سجنا أي حبسه[1]. قال ابن فارس (السجن) هو الحبس، قال: سجنته سجنا، والسجن: المكان يسجن فيه الانسان، قال الله تعالىٰ في قصة يوسف عيله السلام "قال رب السجن أحب إلي"[2] يقرأ فتحا على المصدرسجن: السجن الحبس، والسجن اسم لجهنم بازاء **عليين**[3]. السجن اصطلاحاً :هو المكان الذي يحفظ فيه المجرمون والمتهمون. فالسجن: هو المكان الذي يحبس فيه الإنسان[4].

أدب السجون: يمكن أن يعرف بأنه تلك الآثار الأدبية التي تكشف عن مكنون عالم السجن بكل ما فيه من ويلات وأهوال ومعانات، وما خلفه من تأثير على من ابتلي به نفسياً وجسدياً، ذلك أن هذا الأدب قد خط وكتب خلف جدران السجن القاتمة وسراديبه المعتمة. أفضت التجربة الانسانية المشتركة للسجناء إلى اعتمادهم على آليات تكاد تشكل ثوابت في تجاوز العزلة وأسوار السجون. وتتجلى تلك الآليات في النبش في الذكريات لاستدعاء لقطات سابقة يتماهى معه السجين ويتلذذ بإعادة تصورها. وقيل في هذا "نحن لا نتحرر إلا من خلال التذكر" وقد يلجأ السجين كذلك إلى أحلام اليقظة فينسج صوراً من المتعة تقذف به خارج السجن وتنتهي بانتهاء تلك الاحلام، فيعود إلى كلكل الضغوطات التي يلقيها عليه الفضاء المقزز للسجن. كما أن أحلام النوم تخلصه مؤقتاً من مآسي السجن عبر رسائل مباشرة أو من خلال الرموزات. إن كل ما كتبوا عن تجاربهم السجينة يلتقون في أن ما يبدو تافهاً وبسيطاً خارج السجن يصبح عملة نادرة وقيمة بداخله.[5]

أهم الأغراض الشعرية لأدب السجون في العصرين

الاستعطاف: يبدو واضحاً جلياً في القصائد التي كتبها أصحابها خلف القضبان أن موضوع الاستعطاف والاستغاثة كاد يطغى على هذه القصارد. فالشاعر السجين يعيش غربةً قاسيةً وظلمة قاتمة، بعيداً عن الأهل والأحباب يغلبه الشوق للأصحاب والخيلان، فلايجد من يخرجه من عذاباته ولامن يزيل عن عينيه كشاوة الوحدة، فيعيش أسيراً لنفسه يكلم ذاته ويخاطبها، ويبعث بالقصئد إلى الخليفة، وليّ أمره، مستعطفاً إياه راجياً منه العفو والسماح، طالباً منه العطف وفك القيود كي يعود إلى أهله حراً طليقاً لامنعه قيود السجان من الحرية والانطلاق نحو الحياة.[6]

الشكوى: لقد كثر الشكوى وظاهرة الخواطر عند الأدباء المحبوسين في العصرين. إذ لجأ بهذا الفن منشؤه إلى التخفيف عن أنفسهم مما يعانوه ويلات الزمان وطأة الحياة، فهم يصرفون مكبوتاتهم وقلقهم في تلك الأسطر

البديعة. قام الشاعر السجين والأسير بوصف ليالي الأرق وما يعانيه السجين من آلام وأوجاع وقلق، حيث إن الوقوع في السجن والأسر محنة لايحسد عليها صاحبها.[7] فالمعاناة عظيمة والعذابات شديدة، ولكثرة هذه الآلام لايجد الشاعر السجين ملاذاً إلا بأن يصفها في شعره.

الافتخار بالذات: مزج عدد من الشعراء السجناء في العصرين أشعارهم بفخرهم بأنفسهم واعتدادهم بها تارة. وكأن هؤلاء الشعراء أرادوا من وراء ذلك تحقيق أمرين: الأول هو تذكير من يستعطفون بأنهم ليسوا كعامة من الناس، لذا ينبغي أن لايهانوا وأن لايعاقبوا جراء ذنب اقترفوه فعظم شأنهم وعلو مكانتهم. وخدماتهم التي قدموها للحاكم كلها أمور كفيلة بتخفيف ذنوبهم مهما عظمت كما كانوا يظنون. أما الأمر الثاني، فهو إبعاد التذلل وإهراق ماء الوجه عن استعطافهم[8] بحيث يظهر هؤلاء الشعراء متماسكين محافظين على عزة نفوسهم وكرامتها في السجن.

الرثاء: لم يدع الشعراء السجناء غرضاً من أغراض الشعر يستعينون فيه على تحقيق هدفهم إلا تناولوه في قصائدهم ومقطوعاتهم، وإن كان من الطبيعي أن يمزج الشاعر السجين بالمدح أوالغزل أوالوصف أو هجاء الأعداء والوشاة، إلا أنه من الغريب أن يتناول أغراضاً أخرى في شعره كالرثاء والحكمة. لذا نجد نادراً مانجد في هذين الغرضين في أشعارالسجن في العصرين العباسي والأندلسي.

قريحة الانتقام من الأعداء: ويزيد الاستنتاج قوة ما بقي من القصائد والمعدودات لشعراء لبثوا في الحبس بضع سنين قبل أن يموتوا فيه، وكان من المتوقع أن يكون إنتاجهم فيه موفوراً. فلو نقب في ديوان المعتمد بن عباد لعد له بين قصيدة قصيرة ومقطعة اثنتان وعشرون، ومن المعروف أنه كان شاعراً متقناً كثيرالقول يقارض الشعراء وهو في السجن إذ كان الشعر تعلته الوحيدة يخفض عن نفسه ما تجد. ومكث في سجن المرابطين في أغمات خمس سنوات حتى توفاه الموت, وما بين الأيدي من شعره لايخرج عن شعر اللوعة والتحسر والحنين والرثاء. أما شعرالتحفز والغضب فلم ينشده منشد. فهل كان المعتمد راضياً مذعناً، إن الأحداث كانت تشير إلى أن المعتمد لم يكن هادئ الخاطر، وكان يترقب أمراً إذا كان أبناؤه وأعوانه في الأندلس يعدون العدة لاستعادة ملك سلبهم المرابطون إياه غدراً. وقد ثار ولداه هناك فأخفقا وقتلا. فضيق عليه في حبسه واغتم هو غماً شديداً أفصح عنه في أبيات متعطشة إلى الثأر من غير تصريح كاشف، مثلاً قال:[9]

كذا يهلك السيف في جفننه إلى هز كفي طويل الحنين
كذا يعطش الرمح لم أعتقله ولم تروه من نجيع يميني
كذا يمنع الطرف علك الكيم مرتقباً غرة في كمين

وكان ارتجل هذه الأبيات بمحضر بعض العواد والأصدقاء إذا عي إليه ولداه. وهي القصيدة الوحيدة التي تفصح عن النقمة والغضب. أفكانت تلك هي كل ما قال من الشعرا لحانق الصثائر في خمس سنوات، أو ليس من الراجح أنه

نظم أشباهها وكان رجلاً تراقب اتصالاته وأقواله وتخشى تطلعاته فكان التصريح بها بقرب حياته وحياة أطفاله من خطر محقق؟

الفنون النثرية في أدب السجون من العصرين

المراسلات: ونعني بالمراسلات الواردة إلى السجن تلك التي كانت ترد إلى المحبوس من أشخاص خارج الحبس. وفي غالبيتها رسائل مواساة وتعزية للمحبوس وتخفيف عنه. وحث له على الصبر. وندر أن تكون قد صدرت عن صاحب سلطة إلى مسجون.

أما المراسلات الشفوية فهي تلك الرسائل التي يتبادلها المحبوس مشافهة مع من اودعه السجن. إن كان خليفة أو أميراً أو عاملاً. يبعث بها مع وسيط بأن يقول له قل لفلان أو يقول لك فلان، أو ربما قيل بعث بالرد مع فلان، وكثيراً ما يكون الوسيط قيم السجن أو صاحب البيت الذي يترل المحبوس في قبوه، أو ربما كا زائراً قدم ليزور صديقه السجين فيحمله رسالة إلى صاحب السلطة ممن في يده أمره، يطلب عفوه أو يستعطفه أن يضع حداً لمعاناته ويفك قيوده.[10]

والمراسلات المكتوبة وهي التي عرفناها بأنها الخطابات الصادرة عن السجن أو الواردة غليه، وهي في شتى الاغراض من استعطاف أو استرحام أو غظهار الندم أو عتاب أو شكوى. كل ذلك في شعر وغثر كما بينا. لقد كان السجن والعقاب مثيراً للرعب والفزع، ليس في نفس المحبوس فقط بل في نفس من يتوقع. إذ تنهار أمام لفظه أقسى النفوس وتتخلع لذكره أعتى القلوب فيهرب ولايلوي على شسئ ويستتر عله ينجو منه إلا أن شبح العقاب كان دائماً أمام عينيه فلا يجد مناصاً إلا بالكتابة مسترحماً مستعطفاً فإما أن يعفى عنه وإما أن يؤخذ بما رمي به.[11]

المناظرات والمحاورات: ونعني بها الكلام الذي يتبادله المحبوس مع من في يده أمره، من خليفة، او قائد أو أمير وما إلى ذلك. ويدور الكلام هنا على شكل حوار. وأغلبه قيل في مواجهات بين صاحب السلطة وبين المحبوس وهو مكبل. وقد نشر النطع وسل السيف. خلال ذلك يواجه صاحب الأمر سجينه بما اتهم به من خروج على السلطةأو خيانة أو اختلاس إلى غير ذلك. ثم يرد المحبوس هذه التهم عن نفسه مستعطفاً مسترحماً بكلام يودع فيه كل ما لديه من فصلحة وبيان وقوة إقناع, إن كان ممن يحسك ذلك وكثيراً ما كان يؤدي هذا إلى أن يعفو صاحب الأمر عن سجينه إعجاباً ببلاغته. أو تقديراً لشجاعته أو بعد أن يقتنع صاحب الأمر هذا بأن ظلماص ما وقع على المحبوس فيأمر أن تفك قيوده، فإما أن يعاد المسجون إلى السجن وإما أن يخلع عليه.[12]

الخصائص اللغوية لأدب السجون في العصرين وعند الحديث عن اللغة فإن أبرز ما يستوقفنا لدراسته، الألفاظ والمعاني، وإلى أي مدى كان الشاعر ناجحاً في التوفيق والملائمة بينهما. وفي إطار الحديث عن الألفاظ فإن أفضل لفظ يسمح باستعماله في الشعر هو ما كان قمحاً سهلاً عليه رونق الفصاحة مع الخلو من البشاعة.[13] أى أن الألفاظ السهلة في معانيها ومخارج حروفها من الجهاز المنطقي، والفصيحة بعيداص عن العامية، تعد من افضل أنواع

الأفاظ وأكثرها شيوعاً وانتشاراً لدى الشعراء العرب على مرالعصور، وفي هذا يقول الجاحظ: المعاني مطروحة في الطريق، يعرفها العربي والعجمي، والبدوي والقروي، وإنما الشأن في عقامة الوزن وتمييز اللفظ وسهولة المخرج[14] وهذا يعني أن المعاني موجودة دائماً لكن الفن والإبداع يكمن في كيفية التعبير عنها، والهيئة التي ستخرج بها، وذلك عن طريق الألفاظ التي تحتوي على المعاني التي يريدها الشاعر على إيصالها.

ويؤكد الجاحظ على الفكرة ذاتها فيقول: كما لاينبغي أن يكون اللفظ عامياً وساقطاً وسوقياً ولاأن يكون غريباً وحشياً إلا أن يكون المتكلم يدوياً أعرابياً، فإن الوحشي من الكلام يفهمه الوحشي من الناس، كما يفهم السوقي رطانة السوقي.[15]

إن حكمنا على أن شعر السجون في العصرين اتسم في الغالب بضعف المستوى الفني، نتيجةالتركيز على المضمون و المحتوى الفكري، لا يعني إطلاقا خلو هذا الشعر من النصوصالجميلة التي تزخر باللغة الأنيقة و البيان الناصع. و إنما عنينا بذلك خلو شعر السجون منالصورة التي تتحول فيه بالإيحاء القوي إلى رؤيا. إذ لم تكن الصورة في شعر السجون في العصرينتتولد في نفس الشاعر "عبر الخيال المتمرد الذي يفجر الانفعال و العقل و يصهرهما، فتغدوالمشاعر، و كأن لها أشكال حسية ترى بها". و إنما كانت في الغالب صورة تشبيهية و أخرىتقريرية "ذلك لأن الأديب العظيم هو المواكل بخلق نماذج التعبير، و هيئات التركيب التيتتقاضاها هذه المشاعر و الأحاسيس".[16]

لقد اختلف الشعراء السجناء في توظيف الصورة الشعرية من حيث القوة والمهارة في التصوير، لكنهم اتفقوا من حيث نوعها، فكانت في معظمها عبارة عن تشبيهات و استعارات و مجاز، ذلك لأن شعر السجون غنائي تشيع فيه المجازات، و ما يتصل بها من الصورة البيانية،لأنها هي التي تلائم ثورة العاطفة و حدة الوجدان، فتخرج الكلمات بها ملتهبة حادة بفضل ما في المجاز و الاستعارة من تركيز، و إيجاز، و تبلور يعطي التعبير قوة، "ذلك لأن صور البيان قد يداخل ألفاظها هي الأخرى تقديم أو تأخير و حذف و إثبات و ما شبه ذلك من علم غنائي. و من هنا كان تركيزا على الصورة الشعرية التي فيها تأثير الصورة البيانية و ترتيب الأسلوب".[17] وفي العصر العباسي سعى الشاعر السجين والأسير إلى استعمال الألفاظ التي تخدم موقفه وتعبر تعبيراً صريحاً عن نفسيته ومعاناته، فحاول قدرالاستطاع أن يستعمل ألفاظاً تؤدي المعنى الذي يريده.

وعند الرجوع إلى شعر السجن في هذا العصر بالخصوص فإننا نجد أن ألفاظه تأرجحت بين الصعوبة والسهولة تارة، والوضوح والغموض تارة اخرى، لكنها كانت تميل إلى السهول والوضوح اكثر، وكان نفسية الشاعر مظطربة تتخبط في استعمال الألفاظ وانتقاء المفردات، فتارة تصعد نحو الصعوبة والتكلف، وتارة تهبط نحو السهولة والبساطة. هذا وإن دل على شئ فإنا يدل على عمق التجربة التي يعانيها الشاعر العباسي الممتحن.

وفي البحث فيما هو جديد من الألفاظ المستعملة نجد ان تجربة السجن والاسر هي حدث عارض في حياة الانسان بشكل عام، والشاعر على وزجه الخصوص. فهناك ألافظ عديدة لاتستعمل في القصائد التي ينظمها الشاعر في حريته ولا توظف إلا في قصائد السجن والأسر، وهذا يعني أن للسجن معجماً خاصاً لاتستعمل ألفاظه في ظرف آخر. ومن هذه الالفاظ: السجن، الحبس، الكبول، القيود، الاعداء، السلاسل، الأغلال، الحديد، الدهر، الليل الأسير، العفو، الأرق، الموت، وغيرها كثير من الألفاظ التي ترسم صورة الألم والمصيبة، وتمثل نفس الشاعر الحزينة ومحنته القاسية، وتتمثل في معجم خاص بالسجن والأسر.[18]

ومن الشعراء الذين استعملوا مثل هذه الألفاظ بالكثرة في شعرهم فميزته عن غيره، الشاعر أبودلامة حيث يقول في قصيدة بعث بها إلى الخليفة أبي جعفر المنصور من السجن:[19]

أمير المؤمنين فدتك نفسي غلامٌ حبستنيٌ وخرقت ساجي؟
أمن صهباء ريح المسك فيها ترقرق في الإناء لدى المزاج
أقاد إلى السجون بغير جرم كأني بعض عمال الخراج
فلو معهم حبست لكان سهلاً ولكني حبست مع الدجاج

لقد أكثر الشعراء السجناء في كلا العصرين في قصائد هم أسلوب الإنشاء والصيغ الإنشائية التي خرجت عن معناها الأصلي لتؤدي معاني أخرى أفادت الشعراء السجناء في تحقيق الهدف الذي كانوا يصبون إليه. وجاء الاستفهام في مقدة تلك الصيغ. ومن هذه المعاني التي خرج إليها الاستفهام ووجدت بكثرة في أشعار السجون.[20]

نظمت أشعار السجن في مجملها في لحظات قاسية وفترات مصيبة، وعلى الرغم من ذلك كانت هذه الأشعار مكسوة بحلل بهية تزيدها بهاء ورقةً. ومن هذه الحلل المحسنات المعنوية واللفظية التي جاءت خدمة للنص وللمعنى دون تكلف يذكر. وكانت في مقدمة المحسنات المعنوية الطباق والمقابلة. وقد لجأ الشعراء إليهما في معرض موازنتهم بين ما كانوا عليه قبل نكبتهم وما آلو إليه بعدها.

الخصائص المعنوية في أدب السجون في العصرين

البساطة والسهولة في المعاني: كانت اللغة في الشعر الأندلسي بعامة لغة طبيعية سهلة لم ترق في سهولتها إلى المعجم اللغوي التي تميزت به ألفاظ كثير من الشعر العباسي. وكان شعر السجن بالذات أكثر سهولة من سواه. ذلك أن الشاعر السجين كان يسعى إلى الحصول على عطف من يخاطبه واستمالة قلبه بألفاظ يفهمها دون أن يجعل صعوبة ألفاظه عائقاً في سبيل تحقيق هدفه. فاستطاعت تراكيبه أ، تؤدي معانيها بطريقة طبيعية سهلة لاتكلف فيها.[21] كان الشعراء السجناء يلحون على من يخاطبونهم كي يعطفوا عليهم ويعفو عنهم، ونراهم في سبيل ذلك يتناولون المعنى

الواحد أكثر من مرة. ويعرضونه في صور مختلفة بأبيات شعرية اختلفت ألفاظها واتفقت معانيها أو تشابهت وكان الشعراء يلجؤون لتحقيق ذلك إلى الألفاظ المتواردة، وهي التي يقاك لفظ مقام لفظ لمعان مقاربة يجمعها معنى واحد.

الخيال والصور: حفلت الأشعار الحبسية في العصرين بمجموعة من الصور تنم عن الخيال الأدبي الذي كان يتمتع به الشعراء السجناء، وكانت الصور الفنية في أشعارهم غير متكلفة في عامتها كما أنهم التزموا في الأعم الأغلب بالصور التقليدية الخاصة بالممدوح والمحبوبة، وكأن المحن والنكبات التي يتعرض لها هؤلاء الشعراء قيدت إبداعهم وخيالهم. وعلى الرغم من ذلك لانعدم عندجهم بعضاً من الصور الفنية الجديدة والتشبيهات والمبتكرة.[22]

استلهام التراث: استلهم الشعراء السجناء في هذين العصرين ثقافتهم وخبراتهم التراثية وضمنوها أشعارهم، كان الشعراء يهدفون من وراء ذلك إلى إيقاع من يخاطبون ببرائتهم كما كان للأمثلة التي اختاروها أثر في المقارنة بين أحوال الشعراء المنكوبين وأحوال أصحاب تلك الأمثلة على أمل أين يلقى الشعراء المصير الذي لاقاه أولئك المتمثل بهم وهو الانعتاق والخلاص.

كان ابن زيدون اكثر الشعراء السجناء استلهاماً للتراث، وهو ذوخبرة عظيمة وثقافة واسعة بعلوم الدين والأدب والتاريخ، فلا نكاد نجد له قصيدة حبسية إلا وفيها ذكحر لحادؤة او مثل استمده من مصادر معارفه المختلة، وكان القرآن الكريم في مقدمة المصادر المعرفية التي أفاد منها الشاعر، حيث ظهر جلياً تأثره في أسلوبه واتخذ من قصصه وسيلة لعرض قضيته وبيان برائته.[23]

الجوانب الدينية والاجتماعية لأدب السجون في العصرين

ملامح بدوية: من اليسير التقرير بما يشبه البداهة أن الشاعر الحبيس في العصرين، صعلوكاً كان أم غير صعلوك، رئيساً كان أو مرؤوساً يجد وجوده كله وكيانه في قبيلته فهو يدخل السجن بالمشاركة في الأحداث التي انتابتها والجرائم التي اقترفها ويبقى قلبه معلقاً بها قلقاً على قضاياها مشغولاً بإحرازها أوتارها وأمجادها وبسلامة سمعتها فوق شغله بنفسه، ولاتزال نفسه مفعمة بالفخار القبلي والاعتزاز بالانتماء، فيتصدر الفخار صدر قصائدهم التي يخاطبون بها أقوامهم من حبوسهم.[24] وهو شعور تنطق به أشعارهم وهم يعانون مأساة حارقة ومروعة تنتهي غالباً بهم إلى الموت، وليس في دعواهم تزيد أو ادعاء وغرور وإنما هو حقيقة الاحساس بالعزة والأنفة القبلية تعلن عن نفسها فو ثورة الغضب وفي الاعتداد والثقة بالنفس.

وكذلك يخيل بادئ ذي بدئ أن الناقة والصحراء غرضان تقليديان من الجموديات والمتحجرات في القصيدة العمودية ولا صلة لهما بحياة السجناء والحق أنه لاتنكر جمودية الأطر والصور والصياغة والأ,صاف إذا انتزعتا الأبيات لهذين الغرضين من القصيدة انتزاعاً. أما ّ تأملنا فيها وهي في الاطار الواحد الجامع للقصيدة وجدناها تتصل

وثيقاً بالمحور النفسي للسجين وتمازج مشاعره وأحاسيسه ممازجة لايحسن بالدارس إغفالها على ما فيها من الرسوم واللفاظية الجامدة.[25]

أدب السجون والاشتغال بالحكمة: أول ما يذكر من الأسباب ما طرأ على العرب من فلسفات الأمم القديمة واليونانية خاصة وما نقل من كتب المنطق والعلوم والحكمة، وما كان من إقبال المثقفين عليها إقبالا بلغ عند كثير منهم الشغف والنهم. على أن سهولة الاتهام بالزندقة لمن كان يدرس العلوم الحديثة يسرت على أرباب السلطان أن يقذفوا بها من شاؤوا من الادباء والكتاب. فقد ذكر أن المهدي بن المنصور قتل كاتبه والأديب محمد بن عبيدالله بعد أ، قرره على الزندقة. وأماط كتاب المحاسن والمساوئ[26] اللثام عن سر التهمة وهي لاتعدو غضب الخليفة على الأديب والكاتب من جراء إساءة شخصية للخيزران زوج المهدي، وفي القرن الثالث الهجري كالعالم الأديب أحمد بن الطيب السرخسي خلف الفيلسوف الكندي في العلوم الحديثة كلها والقديمة، واختير معلماً للمعتضد. ولما صارت الخلافة إليه قربه منه ينادمه ويستشيره في أخص أموره وقبض المعتضد فجأة على السرخسي وحوله إلى المطبق بعد أن ضربه مأة سوط. وفي المطبق قتل. ولما عوتب في ذلك صرح أن ابن الطيب كان دعاه إلى الالحاد، ولكن حقيقة الاتهام عرفها ابن النديم فذكر أنه قتل في السجن في مؤتمرة سياسية بغير علم الخليفة.[27]

التصوف وأدب السجون: كان بعض الأدباء في العصرين عزوفين عن حياة القصر ويدعون إلى الزهد وازدراء المتع والطيبات. ولكنهم حبسوا بأسباب مختلفة. والأشهر منهم أبوالعتاهية العباسي. كان الحبس معركة بين أبي العتاهية وبين الرشيد، ضربه ستين مقرعةوحلف لايخرج من حبسه حتى يقول شعراً في الغزل، فلما رفعت المقارع قال أبوالعتاهية: كل مملوك له حروامرأته طالق إن تكلم سنة إلا بالقرآن أو بلا إله إلا الله محمد الرسول لله، فكان الرشيد يحزن مما فعله فأمر أن يحبس في دار ويوسع عليه ولايمنع من دخول من يريد إليه.[28] وفي هذه اليمين كما يتراءى إصرار كبير على يقين مستقر في أعماق النفس، وقد أثر ذلك في الرشيد فلان له إلا أن هيبة الملك والرغبة في اكتشاف دخيلة الشاعر على جهة الحزم وقفتا دون الافراج عنه.

الجوانب السياسية والاقتصادية لأدب السجون في العصرين

ففي العصر العباسي والأندلسي كان للسياسة أعظم الأثر في فقدان كثير من المنظوم في السجون إذ كان الحساب في الحكم الاستبدادي عسيراً على الكلمة وأحياناً على التلميح. ويومئ أغلب ما نظمه الشعراء إلى أنهم كانوا في حبوسهم راضين غير ساخطين ومذعنين غير ناقمين مقرين بالذنب شاهدين للسلطان بالعدل والنصفة.ولا مراء أن هذا الظاهر من القول هو غير الحقيقة، وأن ما جهر به اللسان من المداراة والملق والمداجاة هو غير ما في القلب.ولعل السخط والغيظ والنقمة هي المشاعر الحقة التي ملأت نفوس من دخل السجن من الأدباء والشعراء.[29]

وكانت إذاعتها تضر بصاحبها وتؤخر خروجه من حبسه إلم تود بحياته، فكان كثير من الشعراء يكاتمون هذا الغيظ على أليم يستشعر في بعض ما نظموه، كمافي أشعار وأقوال المتنبي.

والمعتقد أن الشعراء باحوا بذات نفوسهم وخففوا عنها بكثير من الشعرالناقم وأسمعوه العواد من أصدقائه وأقربائه. ولكن خوف السلطان الرهيب منع من تناقل ذلك الشعر وسيرورته بين الناس. وكان ما يؤذن به أو يترخص في تناشده هو ما لا يمس الحاكم بسوء ولالوم.فلا غضاضة في شعر يعرض بالعشيرة والأصدقاء.[30] ولا في رواية القصائد التي مدح بها السجين يجانه ، ولكن الخوف كل الخوف في إنشاد يعرض فيه الشاعر الحبيس بأولي الأمر، فاخطر يحف بالشاعر والرواة معاً. ولذلك أهمل الحظ الأكبر من أشعار السخط والنقمة وتنوسيت قبل أن تصير من مذخور الرواة ومن تراث الادب. والبقية الباقية تشير إلى ما ذهب.

ومن الأخبار ما يدل على أن الشعراء الذين ماتوا في الحبوس كان بين أيدي ذويهم أشعار لهم لاتخرج عن نطاقهم إلا لمن استوثقوه فينشدونه منها. وفي كتاب أشعار أولاد الخلفاء يذكر الصولي أن القائد والأديب الذي أفضى دولة الأمويين هو عبدالله بن علي كان في حبس المنصور يرسل بالشعر إلى إخوته ليعلموا على حفظ سلامته وهو ينقل الحديث عن بعض أفراد الأسرة العباسية يعقوب بن جعفر بن سليمان الهاشمي، قال: "وأنشدني من شعره في حبسه ذلك"[31]ولا شك أن ما أنشده إياه مقدار غير خطير وأن كثيره بقي طي الكتمان، فخلفاء بني العباس وأشرافهم لا يرضون تناقلها لما فيها من إساءة لجدهم المنصور، فكتمت الدوافع السياسية هذا الشعر دهراً حتى فقد و لم يند منه غير ذلك الخبر والأبيات. وللم يخش الصولي من ذكرها في كتابه وقد ضعفت في زمنه منة الخلفاء. لذلك يمكن الاستنتاج أن شعراً مهاجماً للحكام كان ينظم في السجون ويخرج من أسوارها، فيدار على حذر بين أيدي الخاصة من الأهل والصحابة دهراً طويلاً ثم يتولاه الاهمال ويتناسى.

الخاتمة والنتائج: فيما يتعلق بأدب السجون في العصرين فإنه لايخلو من فائدة يقتضيها الدارس من خلال قراءة نصوصه، وهي التي أفرزتها بعض الأحداث والوقائع التي لاتخلو أن تكون ذات خطر آنذلك. من هذه الفوائد نذكر: أن هذا الأدب ربما كان مصدراً من مصادر المعرفة التوثيقية شبه التاريخية فكل نص من نصوصه قيل أو خط في مناسبة ما. كانت سبباً في إدخال صاحبه إلى السجن. وأغلب هذه المناسبات مرتبطة بأحداث سياسية.

والفائدة الأخرى التي ربما أفاد منها القارئ هي: أن هذه النصوص ربما كانت مصدراً من مصادر الحالات النفسية التي يمكن أن تكون غرضاً للدراسة. فكثير من هذه النصوص يكشف عن الجانب الانساني الضعيف، حتى عند ذلك الذي عرفت عنه الشجاعة والقوة والقسوة، وبخاصة في الخواطر ومناجاة النفس.

وأما الفترة الزمنية التي تنتمي إليها معظم النصوص فسيلاحظ أن معظمها قد تركز في القرن الثالث الهجري وشطر من القرن الرابع الهجري. وهذه أخطر حقب التاريخ الاسلامية. إذ زخرت بالأحداث والتناقضات والسلبيات.

وعند الرجوع إلى شعر السجن في العصرين فإننا نجد أن ألفاظهما تأرجحت بين الصعوبة والسهولة تارة، والوضوح والغموض تارة أخرى، لكنها كانت تميل إلى السهول والوضوح أكثر، وكان نفسية الشاعر مظطربة تتخبط في استعمال الألفاظ وانتقاء المفردات، فتارة تصعد نحو الصعوبة والتكلف، وتارة تهبط نحو السهولة والبساطة. هذا وإن دل على شئ فإنا يدل على عمق التجربة التي يعانيها الشاعر الممتحن.

أمرٌ آخر يجدر ذكره هنا هو أن هذه النصوص قيل معظمها أو أنشئ في بغداد وإشبيلية لأنهما كانتا غنيتين بالأحداث، جامعتين للتناقضات، وكذلك في سامراء باعتبارها الحاضرة الثانية في الدولة العباسية منذ عهد المعتصم إلى عهد المعتمد. يضاف إلى ذلك أن السجون المشهورة كانت قد بنيت فيهما لسجن المتهمين من سياسين وغيرذلك. وأشهر هذه السجون التي سجن فيها المشاهير ممن سنأتي على ذكرهم من أصحاب نصوص أدب السجون في هذا البحث: سجن المطبق، والجوسق، والحبس الكبير، وسجن الحديد، يضاف إليها ما كان يعرف بسجون الدور أو السراديب.

Bibliography

alafriqi, abn-e-manzoor. without tabaa. "lisan- ul- arab." *dar-sadar,berout,labnan.* 23.

n.d. "al-asdar asabiq." 166.

al-ash-bali. 2001. "qalaid al-uqyan." *maktaba al-minar* 103.

alfarj, abu. 1371. "al-agani." *daralkutab al-misriya* 299.

al-hawi, eelia saleem. 2007. "fi al-naqad al-adabi." *darul kitab al-labnani* 53.

al-jaburi, yahya. 2003. "mehan ah-shura wa aduba." *dar al-garb ul islami beyroot* 32.

al-jahiz. 1990. "al-biyan wl-tabyeen." *maktaba-almarif* 135.

al-jahiz. 1980. "al-haywan." *maktaba al-kahnji* 131.

n.d. "almasdar al-sabiq." 145.

n.d. "al-masdar al-sabiq." 236-234.

n.d. "almasdar asabiq." 90.

almunjad, salah aldeen. 2010. "al-khulafa wal-kula-a." *mattaba al-abee,r alkuwait,* 117.

al-numan, muhammad. 2011. "asra al-harb abar attarikh." *dar- al- talita,* 44.

n.d. "alquran." *surah yusuf* ayaa 33.

al-samad, wa-zeh. 1995. "al-sajoon wa asariha fi adab al arabia." *almuascisa al-jamieya llidrasat* 122.

al-suli, muhammad bin yahya. n.d. "asarr aolad el-khulafa." *mat.*

alyahya, muhammad bin. n.d. "asharu aolad dil khulafa." *maktaba alsawi* 307.

asfahani, alragib. n.d. "muridat ul quran." *dar al marifa,beyrut,labnan* 235.

behqi, al. 2005. "al-mahasin walmusawi." *dar al- kutub al ilmia* 443.

deen, izzu. n.d. "al-tafseer al nafasii." 82.

dulama, abu. 1998. "deewan." *dar-al-kitab al-arabi* 129.

faris, abu zakriya ahmad bin. 1979. "maqayis ul luga." *al maktaba- al-ailmiya* 13.

ibn-e-jafar. 2015. "naqd al shar." *matba aljawanib,al qahira* 28.

ismail, izzuddeen. 2014. "al tafseer uh nafsiii lil adab." *maktaba algareeb* 77.

kutayba, ibn. n.d. "al shar wal-shuaraa." *daralmaarif* 338.

marzooq, halimi. n.d. "al-naqad wal-drasa." *dar-al-nahza al-arabia* 177.
marzuuq, halimi. n.d. "alnaqdad."
mubarak, muhammad bin. n.d. "mutahi al talab." *dar al sadir beyroot* 253.
nadeem, ibn al. 1988. "alfahrist." *maktaba radmak* 153.
numan, muhammad al. n.d. "asra- l harab." 87.
samad, wazeh al. n.d. "alsajoon wa asruaha." 223.
tabari. n.d. "tarikhh." 252.
tabari, ibn-e-jareer. 1967. "tarikh-e-tabri." *dar-al marif* 252.

الهوامش:

[1]ابن منظور، الإمام، العلامة، أبي الفضل جمال الدين محمدبن مكرم الأفريقي، لسان العرب: 23/13بدون الطبعة، دار صادر، بيروت، لبنان.

[2] سورة يوسف، الآية: 33.

[3] الراغب الأصفهاني، أبي القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، 235 دار المعرفة، بيروت،لبنان.

[4] أبو زكريا، أحمد بن فارس الحسين،معجم مقاييس اللغ ،تحقيسق عبدالسلام هارون، ، 13/3المكتبة العلمية، 1979.

[5]المنجد،صلاح الدين، لخلفاء والخلعاء،117 مكتبة العبير الكويت، 2010.

[6] محمد النعمان، أسرى الحرب عبر التاريخ، ص 44دارطليعة، 2011.

[7] واضح الصمد،السجون وآثارها في الآداب العربية،ص122، المؤسسة الجامعية للدراسات، 1995،

[8] المصدرالسابق، ص145

[9] الاشبيلي، محمد بن عبدالله،قلائد العقيان، تحقيق يوسف حسين،ص103، مكتبة المنار، 2001.

[10] الطبري،محمد بن يزيد بن جرير،تاريخ الطبري، تحقيق أبوالفضل إبراهيم، 252/8دارالمعارف، 1967.

[11]محمد النعمان ،أسرى الحربعبر التاريخ، ص 87.

[12] الطبري،محمد بن يزيد بن جرير،تاريخ الطبري، 252/8.

[13]ابن قدامة،جعفر،نقدالشعر، ص28،مطبعة الجوانب، القاهرة، 2015.

[14] الجاحظ ابوعثمان، الحيوان، 131/3تحقيق عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، 1980.

[15] الجاحظ، أبوعثمان، البيان والتبيين، 135/1تحقيق عبدالسلام هارون، مكتبة المعارف، 1990.

[16] إيليا، سليم الحاوي، في النقد الأدبي، ص53دارالكتاب اللبناني، 2007.

[17] حليمي،مرزوق،النقد والدراسة الأدبية، ص177دارالنهضة العربية.

[18] المصدر السابق، ص166

[19] ديوان أبي دلامة، ص129،تحقيق سليم شريح، درالكتاب العربي، 1998.

[20] يحيى الجبوري، محن الشعراء والأدباء، ص 32دارالغرب الاسلامي، بيروت، 2003.

[21] المصدر السابق، ص 90.

[22]واضح الصمد، السجون وآثارها في الآداب العربية، ص 223.

[23] المصدر السابق، 234-236.

[24] محمد بن المبارك بن ميمون،منتهى الطلب، تحقيق نبيل الظريفي، 253/2دار صادر، الطبعة الأولى.

[25]عزا لدين، ، إسماعيل،التفسير النفسي للأدبب،ص77،مكتبة الغريب القاهرة،2014.

[26] البيهقي، ، إبراهيم بن محمد المحاسن والمساوئ ،ص443دارالكتب العلمية، 2005.

[27] ابن النديم البغدادي، الفهرست، تحقيق عمارة سعود، 153/2مطبعة ردمك، 1988.

[28] الاصفهاني، أبوالفرج، الأغاني، 299/3 دارالكتب المصرية، 1371ه.

[29]عزا لدين، إسماعيل، التفسير النفسي للأدب، ص82

[30] قتيبة، أبو عبد الله محمد بن مسلم، الشعر والشعراء، ص338/1تحقيق أحمد محمد شاكر، دارالمعارف.

[31] ، الصولي، محمد بن يحيى، أشعار أولاد الخلفاء، تحقيق هيورث دن، ص307 مكتبة الصاوي،